

بمناسبة يوم القدس العالمي

فلسطين في حياة قاسم سليمان

■ مصطفى الداوي:

انه ليس أولى من الفلسطينيين أحدٌ بالحديث عن قاسم سليمان، ولا ينوب عنهم أو ينطق باسمهم أحد، فقد خبروه وعرفوه، وعاشوا معه وعملوا وإياه، وعلموا سجاياه واكتشفوا مزاياه، وأدركوا صدقه ولمسوا

انتسبوا، أن يتحدثوا عن قاسم سليمان، قائد فيلق القدس، الفلسطيني الهوية، المقدسي الهوية، الذي آمن بفلسطين عقيدةً، وضحى في سبيلها عبادة، وكرس حياته لتحريرها وخدمة أهلها.

قد يصعب على غير الفلسطينيين من العرب والفرس معاً، أو غيرهم لأي طائفة ومذهبٍ انتموا، أو لأي جنسيةٍ أو قوميةٍ

في الداخل، وسَفَر واستضاف ذوي الحالات المستعصية في مستشفيات إيران ولبنان وسوريا، وبقي يتابعهم ويهتم بأمورهم، ولم ينس الشهداء الذين كان يراهم شرف الأمة وخير أبنائها، فأكرم ذويهم، واهتم بأسرهم، ورعى وتبنى أبناءهم، وأوصى مساعديه بهم، ليقوموا مقامه معهم إذا غاب، ويحافظوا على وعده وعهده لهم إذا لقي الله عز وجل شهيداً مثلهم.

يعرف الفلسطينيون الجنرال قاسم سليمان أكثر من خلال العدو الإسرائيلي، الذي لا يفتأ يردد اسمه ويذكر مشروعه، ويحذر من جهوده، ويتخوف مما أعده وجهزه، ويقلق مما استبقاه سراً وأخفاه عن العيون ليكون يتصرف المقاومة وقت الحاجة، له مفاجئ ولجيشه مبالغاً، وقد اعترفوا بأنه نجح في تسليح المقاومة الفلسطينية والعربية، وزودهم بالسلاح الكافي والصواريخ النوعية، البعيدة المدى الدقيقة الإصابة، واستطاع إلى حد بعيد أن يحيط كيانهم بزنا من الصواريخ، المحددة الأهداف والدقيقة الاحداثيات، الجاهزة للانطلاق في أي حرب قادمة،



سيذكر الفلسطينيون دوماً قاسم سليمان كلما مروا قريباً من نفق أو عبروا فيه، أو سمعوا من الإسرائيليين شكوى أو من المستوطنين في غلاف غزة خوفاً، إذ مكنهم من حفر أنفاق المقاومة الاستراتيجية، وساعدهم في تحصينها وتجهيزها لتكون مقراً لقيادتهم، ومستودعاً لصواريخهم، ومصنعاً لسلاحهم، وملجأً آمناً لقيادة أركان المقاومة، وممراً آمناً لمن يأسرونهم من جنود العدو وضباطه.

الإسلامي وحضارته الأصيلة.

سابقى الفلسطينيون يذكرون الحاج قاسم سليمان كلما تذكروا الحروب التي صمدوا فيها، والمعارك التي ضد العدو خاضوها، والصواريخ التي أطلقوها، والمديات البعيدة التي وصلوا إليها، والأهداف الدقيقة التي استطاعوا أن يصيبوها، ومصانع الأسلحة المختلفة التي باتوا يملكون تقنياتها ويكتفون بحاجتهم المحلية منها، وهم المحاصرين من كل جانب، والمستهدفين من كل المحيط والجوار القريب والعدو البعيد، إلا أنهم تمكنوا بجهود الحاج قاسم سليمان من تصنيع حاجتهم من السلاح، وقد كان السيد القائد على الخامنئي قد طلب منه تصنيع السلاح لهم، بعد أن تعذر نقله من خلف الحدود إليهم.

سيذكر الفلسطينيون دوماً قاسم سليمان كلما مروا قريباً من نفق أو عبروا فيه، أو سمعوا من الإسرائيليين شكوى أو من المستوطنين في غلاف غزة خوفاً، إذ مكنهم من حفر أنفاق المقاومة الاستراتيجية، وساعدهم في تحصينها وتجهيزها لتكون مقراً لقيادتهم، ومستودعاً لصواريخهم، ومصنعاً لسلاحهم، وملجأً آمناً لقيادة أركان المقاومة، وممراً آمناً لمن يأسرونهم من جنود العدو وضباطه.

سيذكره الفلسطينيون كلهم، في فلسطين المحتلة وخارجها، وفي مخيمات اللجوء في سوريا ولبنان، كلما مروا على بئر مياه عامرة، أو خزانات مياه للشرب معبأة، أو مولد للكهرباء ينير البيوت المعتمة، أو مسجد معمر، أو شارع معبد، أو مستوصف يعمل، ورضة تستقبل أطفالها، وناد يرتاده الشباب ومكتبة يجتمع فيها الطلاب والباحثون، فقد ترك الشهيد قاسم سليمان أثراً له في كل بيت فلسطيني ومخيم في الوطن والشتات. وسيذكره الأسرى والمعتقلون والجرحى والمصابون، الذين كان يكأهم برعايته، ويهتم بشؤونهم بنفسه، إذ سمي للأسرى مرتبات شهرية، يشتركون بها في سجونهم ما يحتاجون إليه، وأكرم ذويهم وأغدق على أهلهم، كما اهتم بالجرحى والمصابين فعالجهم

إخلاصه، وشعروا بغيرته وقدره مواقفهم، وحصدوا ثمار ما بذروا قوةً، وجنوا حصاد ما زرعوا عزةً، وحققوا ما أرادوا نصراً وثباتاً، وما كان يخالجهم في وجوده شك، أو يتألمهم ضعف، فقد اعتادوا دوماً أن يجدوه إلى جانبهم، وأبداً معهم وبينهم، يهب لنجدتهم، ويسرع لمساعدتهم، ويجتهد في نصرتهم، ويبدع في مساندتهم، ويتكرر الجديد لتمكينهم، ويتحدى المستحيل لتحسينهم، ويؤثرهم على غيرهم، ويفضلهم على سواهم، يقيناً منه أن استعادة فلسطين واجب على الأمة كلها، وأن عزتها وكرامتها هي عنوان الأمة وشرفها، ودليل صحتها واستقلالها.

يعرفه الفلسطينيون جميعاً، شعباً وقيادة، وفصائل وقوى مقاتلة، وأحزاباً سياسية وكتائب عسكرية، وكتائباً وإعلاميين، ومناصرين ومؤيدين، فقد كان قريباً من العامة والخاصة، ويعرف الجند والقادة، ويتابع الأفراد والمسؤولين، ويتفقد أحوال الجرحى والمصابين، ويهتم لشؤون الأسرى والمعتقلين، ويعرف حاجات الشعب ويدرك ما يريدون، فيهب لمساعدتهم إذا طلبوا، ويسرع في تلبيةهم إذا سألوا، فقد كان وأعوانه يحرسون على تقديم الدعم للفلسطينيين عموماً، بكل أشكاله وأنواعه، المادي والعسكري والتقني والمعلوماتي والفني، وغير ذلك مما يحتاج إليه الفلسطينيون في أعمال المقاومة وسبل الصمود والثبات، أو لمناحي الحياة وحاجات العيش الأساسية لشعب قدره أن يكون تحت الاحتلال.

فلسطين في وعي الشهيد قاسم سليمان ورجاله، ولدى قيادته وأتباعه، آية من كتاب الله عز وجل، وهي بعض من العقيدة بنص القرآن الكريم، التي لا يقوم الإسلام إلا عليها، ولا ينهض إلا بها، ولا يصح إلا بتمامها، وإيمانه راسخ أن المسجد الأقصى المبارك مسرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعراجة إلى السموات العلى، وأنه والقدس التي تحضنه، وفلسطين التي تضمهما معاً، يجب أن تحرر وتستعاد، وأن تظهر من الدنس، وتبرأ من النجس، وتعود إلى عمقها

ومن نصيب المرابطين على الأرض والثابتين على الحق، الذين عملوا لهذا اليوم وأعدوا له عدته، وآمن أن أمتنا باتت قادرة على انتزاعه، وتستطيع فرضه، وتملك القدرة على تحقيقه، وأصبحت المقاومة عصية فتية، مسلحة قادرة، عزيزة كريمة، قوية برجاليا وراشدة بقياداتها، وبصيرة في مشروعها، وحكيمة في قراراتها، وباتت هزيمة العدو ودحره قدراً محتوماً ومصيراً مكتوباً، وأنها ليست إلا مسألة وقت ونتيجة منازلة، فقد انتهى عصره وولى زمانه، فلم يعد هو المستعلي المتفوق، ولا القوي القادر، ولا المتفرد المستبد، ولا الأمن الوثائق، وحينئذ سيفرح المؤمنون بنصر الله، الذي سيتنزل عزيزاً على هذه الأمة، أبلغاً كما الصبح، وساطعاً كما الشمس، وقاطعاً كحد السيف.



يعرف الفلسطينيون الجنرال قاسم سليمان أكثر من خلال العدو الإسرائيلي، الذي لا يفتأ يردد اسمه ويذكر مشروعه، ويحذر من جهوده، ويتخوف مما أعدّه وجهزه، ويقلق مما استبقاه سراً وأخفاه عن العيون ليكون بتصرف المقاومة وقت الحاجة، له مفاجئاً ولجيشه مباغتاً، وقد اعترفوا بأنه نجح في تسليح المقاومة الفلسطينية والعربية، وزودهم بالسلاح الكافي والصواريخ النوعية، البعيدة المدى الدقيقة الإصابة، واستطاع إلى حد بعيد أن يحيط كيانهم بزنا من الصواريخ، المحددة الأهداف والدقيقة الاحداثيات، الجاهزة للانطلاق في أي حرب قادمة

عليهم حينها أن يستفردوا بهم ويقاتلوهم، وأن ينتصروا عليهم ويستأصلوهم، ويفرضوا عليهم الحلول التي يريدون، والمشاريع التي يخططون لها.

إلا أن الحاج قاسم سليمان الذي كان يتمنى الشهادة ويتوقعها، ويدعو الله عز وجل أن ينالها، وأن يكرمه بها، وأن يجمعه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وصحابته الأخيار والشهداء الأبرار، وأن يكون له متسع من المكان إلى جانب الحسين عليه السلام، كان يتهياً لهذا اليوم ويتحسب له، وقد استعد له وجهاز لمن بعده، فما إن ارتقى شهيداً وحلق في السماء نجماً، حتى حمل الراية من بعد آخر، كان معه وإلى جانبه، ساعده ويمينه، عمل معه وخطط وإياه، إلى جانب عدد كبير من المساعدين والمختصين، الذين تعاهدوا وإياه على العمل لفلسطين ومع أهلها، وأقسموا على مواصلة الطريق والسير على ذات الدرب، فغص العدو بهم واختنق، وأصابه الغضب والحنق، إذ لم يطل فرحه ولم تدم سعادته، بل عض أصابعه ندماً وبشر نفسه حسرة، وأيقن أنه دم سليمان سيلاحقه، وأن وعده الصادق سيطله وكان الحاج قاسم قد أعلن قبل استشهاده في رسالة شهيرة إلى محمد الضيف قائد كتائب الشهيد عز الدين القسام، أن "إيران لن تترك فلسطين وحيدة"، وهي بحق ما تركتها وحيدة، وما تخلت عنها يوماً، وما أشعرتها باليتم ساعة، ولعلها اليوم في ظل موجة التطبيع، وحالة الهرولة العربية نحو الكيان الصهيوني، ومحاولات الضغط على الفلسطينيين وتشديد الحصار عليهم، أقرب إليهم من أي وقت مضى، وأسرع إلى مساعدتهم وتلبية حاجاتهم، لأنها تعرف حجم المؤامرات التي تحاك ضد الفلسطينيين وقضيتهم، واستقواء العدو عليهم واستفراجه بهم، ومدى حاجتهم إلى السند القوي والحليف الصادق.

آمن الركن الشديد واللواء المهيب والفيلق العنيد قاسم سليمان، أن زمان النصر قد أزف، وأن أوانه قد أظننا، وأنه سيكون حليف هذه الأمة الصابرة،

وهي قادرة على تطويقهم بالنار وإمطارهم بحمم القذائف، وإصابة جميع الأهداف القريبة والبعيدة، العسكرية والاستراتيجية، والاقتصادية والخدمية، بما يشل كيانهم، ويدمر اقتصادهم، ويفكك مستوطناتهم، ويهجر سكانهم ويرحل وافديهم، وينذر بنهاية مشروعهم وشطب كيانهم.

ربما عاش الحاج قاسم سليمان لفلسطين أكثر مما عاش لأي قضية أخرى، إيرانية كانت أو غير ذلك، وقد كان بإمكانه أن يبرع في قضايا أخرى كثيرة غيرها، وأن ينجح في سواها، وأن يجد لنفسه متسعاً رجباً بعيداً عنها، وأن يأمن على حياته ويطمئن إلى مستقبله، ولا يغامر بنفسه ويعرضها إلى المهالك، وأن يبقى قريباً من بيته مع أهله وأطفاله، وفي عائلته وبلدته، يسعد معهم ويعيش بينهم، ويهتم بأمرهم، ويخطط لمستقبلهم.

إلا أنه تقدم ولم يتأخر، وتجراً وتشجع، ولم يخف أو يجبن، وسخر حياته كلها رغم المخاطر لأجل فلسطين، إيماناً منه بالواجب الملقي على عاتقه كقائد لفيلق القدس، والتزاماً بتعاليم وتوجيهات السيد القائد علي الخامنئي، الذي جعل من خدمة قضية فلسطين عبادة، والعمل من أجلها تكليفاً ربانياً وفرضاً دينياً، وهو الذي أشرف على تأسيس فيلق القدس ورعايته، قبل أن يسلمه أمانة إلى الحاج قاسم سليمان، قبل أكثر من عشرين عاماً على استشهاده.

ثلاث سنوات مضت على غياب قاسم سليمان وارتقائه شهيداً، وقد ظن قاتلوه أنهم سيأمنون إن غاب، وسيطمأنون على حياتهم إذا قتل، وستنتهي الأخطار التي كانت تحديق بهم، وأن جذوة المقاومة التي أشعلها ستنتفض، ولن تتقد من جديد أو تشتعل، ولن يعود هناك في المنطقة أو المحيط من يهدد أمنهم، ويعرض مستقبل كيانهم للخطر، وستفقد قوى المقاومة الفلسطينية والعربية من بعده السند والعضد، والراعي والحليف، وستجف منابعهم، وستنضب مواردهم وستفكك قواعدهم، ولن يجدوا من ينصرهم ويساندتهم، أو يؤيدهم ويساعدهم، وسيسهل